كاميليا بهاء الدين

أوجاعى الطيِّبات

تجليات نثرية

obeikan.com

أوجاعي الطيِّبات
المؤلف : كاميليا بهاء الدين
الطبعة الأولي ٢٠١٣

دار الحلم للنشر والتوزيع
القاهرة ، ٤ شارع الأشراف من شارع
مؤسسة الزكاة - المرج

موبايل :
01141824562
:E-Mail
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام :
د/اسلام فتحى

تصميم الغلاف :
أسامة علام

إخراج داخلي :
إبــداع للـدعـاية والإعـلان

رقم الايداع : ٢٠١٣/٤٦٣٨
الترقيم الدولي : ٤-١٩-٦٤١٢-٩٧٧-٩٧٨

obeikan.com

إهـــــداء

إلى أبي الذي تركَ لي مكتبة
ربما ينتهي عمري قبل أن أصل إلى آخر كتاب
أبي الذي كان يكتب الشعر ويخبِّئه في الكتب القديمة، وحين سألته لماذا يفعل ذلك؟
قال: قصائدي هدايا لمن يقرأ في مكتبتي من أولادي وأحفادي.
إلى أمي التي كانت تُصرّ على نشر قصصي في مجلات الأطفال حينما كنتُ صغيرة.
إلى تلك الواقفة في الظل، بمنأى عن الضوء، عزة الطهطاوي.

obeikan.com

المُهرِّج ..!

أنتَ تُبكيني.!
رغم أنكَ المهرج وأنا المتفرج، أجدني أُشبهك.. أراني في صفحة عينيك.!
مثلكَ أنا..
أتسلق الأماكن العالية - الصعبة عليَّ - رغمًا عني؛ أتظاهر بالشجاعة وقلبي يسقط مني مع كل درجة صعود.

obeikan.com

قلبي معلَّق في الهواء؛ والهواء بارد جدًا وموجع جدا؛ أشرع ذراعيَّ لأحتضن وجع الهواء ، وأضمهما فارغتين إلا من دخان خيال!
أقفز من أعلى أسوار الوحدة، فأسقط واقفة على أطراف انطوائي..
أُخرِجُ من جيب خيبتي قطعَ أحلامي، أربطها بحبل الأمل وأخفيها ثم أتظاهر بأني وجدتها في جيب أحدهم!
أصفع البكاء على وجهه وأضحك.. ويصفِّق الجميع!
أضحك ملء قلبي ألما.. ودموع الضحك في عيني ساخنة حارقة.!
أنا أهرِّج مع الحياة ولها.. عسى أن تصالحني يوما.
وحين يراودني الرحيل أحمل قلبي وروحي ويدًا ممدودةً في الهواء، وأشياء أخرى.
أزرع لهفتي في الأفق، تتنفسها الطيور العابرة وتعيدها إلى حيث أنا.!
لا فائدة.. لن أتخلص منها.!
ترى! كم خطوة بقيتْ لي؟
أعلمُ أنها قليلة، لكن أقدامي ما عادت تستطيع الحراك، تيبستْ إرهاقًا ووجعًا.
حولي بشر.. يصرخون.. يرفضون.. يبكون، يتألمون.. ويعلنون عن رغبتهم العارمة في الانتقام من السكاكين التي قطعتْ عليهم طريق الحياة للحظة.!
وأنا بينهم أسمع.. وأسمع.. وأسمع.. وأبتلع مرارتهم وكأني قطعة إسفنج -هكذا يظنونني- بينما أنا على الجانب الآخر أتوجع، وربما أشعر بالمرض وأتناول أدوية فورية حتى لا أسقط.!
ماذا لو كان لهذا الكون باب ؟ أو ستار.. جدار!!
أريد -بشدة- أن أختبئ خلف شيء، أي شيء.. إلا أنا؛
فـ أنا عندما أختبئ ورائي لا أخفيني، بل أشي بنفسي قائلة: ها أنا ذي.!
هذه الأيام أشعر بالخوف؛ أرى خلفي طريقًا طويلاً.. مرهقًا جدا، وأمامي طريقًا أطول؛ لن أكون وحدي، أخاف لأنني تعودت أن أكون وحدي..
أخاف ألا أتنازل عن «وحدي» وأتشبث بها لطول عشرتنا سويا!
ترى؟! من ينزع مني هذه الـ «وحدي»؟

وأصلاً أحبك..!

عن ظهر وجه قلب.. أصلاً أحبك؛ فأنت لم تكن رجلاً عاديا، كنت طوفانًا يجرف أمامه كل ما على أرض حياتي، يحرث الفراغ، ويزرع مصابيح الضوء.

obeikan.com

كنتَ رحَّالة حبٍّ، يبسط خريطتي أمامه ليرسم قارة عشق بحياة جديدة، ولغة جديدة، ويشيد حضارةً ويغير تاريخي.. باختصار.. كنت تعجنني من جديد.

عن وجه قلب.. تزرع الأسئلة في عقلي خناجر، وأنا لا أفهم.. ولا أفهمك!
مرهونة بين يديك بقَدَرٍ ناقص يرفض أن يكتمل، قدر يتلذذ بإشعال شكوكنا ثم ينسحب ويتركنا نطفئ النار بمياه مآقينا!

لماذا أحببتك وأنا أعي تمامًا أن هذا الحبَّ خافتٌ.. صعلوكٌ يتسكع على طرقات القدر، يبحث عن فرجة باب يلِجُ منها.. وعندما يرهقه البحث.. يُخرِج قلمه الصغير -الأسود- ليتمرد في الجدار؟
قلتَ لي ذات مرة: أنتِ تشبهينني! فحاولتُ تقليدك في كل ما تحب وكل ما تفعل، وأشتهي كل ما تشتهي عن وجه قلب! وشوقًا على شوق.. أتسلق ملامحك.. تفصيلةً تفصيلةً، فيتضخم غرورك، وكنتُ أعشق فيك الغرور !

عن وجه قلب.. وحدي أنا والليل.. ودفتر، وديوان شعر يضمُّ بين دفتيه قوالب جاهزة للعشاق، مكتوبة بلغة المنكوبين أعجن فيها قهري وفقدي، وأسأل الصباح أن يسعف خيبتي بخبر جديد.. فلا يأتيني إلا بوجوه وأصداء، وأحلام موؤودة تحت وسادة غباء.. فأهرش عقلي بطيفك وأتثاءب بكاءً!

كيتامى الطرقات.. أجوب مدن الشتاء بلا مظلة؛ تطعنني الأمطار من كل جانب، مستغلةً أنني فقدت درعي ذات نزال غير متكافئ الحبِّ..!
أُهرَع لأختبئ خلف أعمدة الإنارة فأجدها تبكي ضوءا، ألتقط حبَّات ضوئها في كفِّي لأمزجها بحبات عرق يدي المتعبة من تسوُّل يدك البخيلة الدفء، أترك الأعمدة وأمضي لأتوارى في ظل شجرة مضمومة الفروع تحتضن ثمارا لم تولد بعد!.

كل شيء يتعملق أمامي بجنون؛ المسافة بيني وبينك، والأمنيات المشنوقة على جدار اللا ممكن، وغيم الانتظار الذي لا يمطر غير لقاءاتٍ وهمية أخيط بها ثقوب اصطباري، بإبر الأعذار التي تشكُّني وتزيد شكوك وشقوق الثقوب!
حتى حبي يتعملق ويلتهمني!
كيف أنفض قلبي منك؟
كيف أسترد عيني التي تعلقت بأطراف معطفك عند الرحيل؟
هل من سبيل إلى ذلك غير فقدان قواي العقلية؟
إني أتصنم أمام اسمك وأتكسر على ظلك، وأحتاج أن يربت على كتفي أي شيء.. حتى لو كان هواءً.. لأتماسك وأرمم قلبي الآيل للسقوط خوفا وفزعا من الموت حبًّا.

قل لي -بالله عليك- من أي الأحجار تقتات، حتى أصبح قلبك بهذه القسوة؟
هذا السؤال يؤرقني كثيرا وأنا أجرُّ عربة الذكرى أمامي، وأتفقد أشياءك التي زرعتها كالعملاء في حياتي.!
كيف أشتري ولاء هذه الأشياء وأجعلها تعمل ضدك؟
لا أظنني أستطيع ذلك.. طالما مازلتُ أبتاع عطرك كلما اشتقت إليك.

سنونوات الفقد.

يدي مشنوقة على قلم مملوء كلامًا، مشدودة باتجاه أوراق عطشي، أنا وهي -اليوم- محورنا أنت.

obeikan.com

أحتاج إلى تركيز حتى لا تهزمني فلول الصمت التي هربتُ منها للحظة كي أكتب عنك؛ الدفتر البارد يحرضني على التمرد، السطور دروب وعرة، لكنني قررت ألا أعيش في حجرة الانتظار إلى الأبد.

التقينا كما يلتقون، جمعتنا الحياة في زاوية منها، ضيقة جداً، لم تسمح لنا بأكثر من ذلك؛ ولأن وجودك في مداري لم يك عاديا، واقترابنا كان قدريا.. وما جمعنا كان خارج حدود الطبيعة، استسلمتُ تمامًا.!

ترى؟ هل يكتمل مثل هذا الحب؟

سؤال هلوسة، لكنه يليق ببائسة مثلي، تعلم أنها -ربما- يومًا ما سترحل مع رجل آخر.

أريد أن أفهم، لِمَ دائمًا يولد الحب مكبَّلاً؟

أن يكون الزمان والمكان في صالحنا، تلك هي قضيتنا التي باءت محاولتي لفهمها بالفشل؛ مأساتي هي شعوري أن الحبَّ وَغْدٌ، سرقنا وتركنا في العراء قلقين قلقًا مشوبًا باليأس!

هي قلة بصيرة، ونحن نعتقد في صعوبة قلب الموازين والتمرد على شقوق الخرائط، وأنه من المحال تسجيل اسمينا في دفتر الحياة تحت خانة واحدة!

لا أدري لِـمَ أتذكر تحديدًا، دون كل الأحداث التي مرَّت بنا، إقرارك الأول؟! وغرقي في الدهشة حد الهروب منك، ربما هو الخوف من القادم.

أشياء كثيرة كانت ستتغير في حياتي لو لم تأتني بهذا الحب، الذي لو لم يكن ريختر مقياسًا للزلازل، لكان مقياسًا لما فعله بي.

أحببتك.. وكنتُ امرأةً تخاف الرجال؛ كنت أرى المقاعد الخالية في كل مكان.. آثار حقائب.. رائحة رحيل.. عابرين لا يلتفتون.. أحاديث بكاء! كنت أتشبثُ برصيف النجاة، لا أبيع تذاكر المرور ولا أبتاعها.

لسبب أو من دون سبب، كنت أكتفي بظلي يصاحبني أينما ذهبت، بتُّ

أخاف أن يمتصَّني وظلِّي الظلام مرَّةً واحدةً أو إلى الأبد، ماذا أفعل بضوء الصباح إذا

لم ينهض ظلِّي معي؟
أرهب الأحلام.. فالرحلة طويلة وشاقة بين الحلم والحقيقة، أخاف لأنني لا أعلم إلى أين يفضي بي الحلم كل ليلة؛ الحلم ليس موتًا وليس يقظةً ، هو مسافة من الخرافات الملونة،أخترقُها فأنهض امرأةً في الصباح لأعود طفلةً في الليل أنام.!
غفوتُ.. ورأيتني بين يديك.. قريبةً منك.. غريبةً عنك.. لمستُ طرف ثوبك.. أدركَتْني لهفةٌ وغاص قلبي بين جنبيّ.. ظللت واقفةً في الحلم الذي أسلمني إلى حلم آخر لأقول لك: لا تبحث عني لئلا تجدني.. بينما لمسة إصبع واحدة أو رجاؤها هي سماء ما أتمنى.

ت.ع.ب.. مجرد تعب.. أن يخفق قلبي بقوة.. وأنت تنحني على سلم الروح تهديني ثمار قلبك، وأنا بين ظلين أُخـمِّن كيف سنفترق؛ يلفُّني الفضاء وينشقُّ الظلام ظلامين، فأدخل في أحدهما وأضيع، وأحاول أن أختبئ في دمي الذي ينزف لأني جرحتني من دون أن أعي وأنا أعض على شفتي حسرةً.
ليس مؤلمًا على الإطلاق، الوقوف خلف النافذة والتظاهر بأنني أحدٌ ما ينتظر أحداً ما..
لكنه الفقد..
هذا الشتاء الطويل..
وتلك السنونوات التي تحتضر.!

وللقمر أرسم شفاهًا..!

تُوغِلُ الذكرياتُ في القِدَم.. وعقارب الساعة تدور حول معصمي تقضم من سنوات عمري، وتحاولُ التمدُّد عبر مساحات ذراعي.. تلتهمُ تضاريسها!

obeikan.com

الهواء الحميم يلمس روحي في حياد أليم.. يبدو أن الفقد ينتشر في جسمي فتَهِنُ حنجرتي وتحتقن شفتاي.. فيصبح فمي مجرد فتحة أفقية.

بتُّ أخاف الذين اختفوا خلف أضلعي، أُدخِّن الحنين وأسعلهم حتى أنسج غيمةً بأسمائهم تؤنس وحدتي.. فالنائمون في كهوف القلب يستدفئون بحنيني إلى خطوة اقتراب منهم أو كلمة سلام.. والسماء تملأ راحتيها بالغيم كما قلبي المملوء بأصواتهم.

في زاوية من روحي.. سأعيد بناء البيت القديم بلا سقف أسفًا أو عتابًا.. ثم أحفر على بابه ضحكةً.. وأرسمهم بأحجامهم الحقيقية على الجدران.. أقاسمهم أيامنا الحلوة الذائبة في عمري القصير.. فقد آن لي التوقف عن البكاء على كتف الشجرة.

أين يمكنني صنع أجنحة أضعها على كتفيَّ وأطير؟ أعبر رواق المستحيل وأحطُّ على الطرقات والأشجار والشرفات حتى أصل إلى الرصيف المقابل لقلبك.. وأحجز مقعدا في ذاكرتك.. أحفر حبَّك في كفِّي خطوطًا، يعجز المنجِّمون عن قراءتها، فأترجمها لهم.. من مبدأ الشوق حتى منتهى انسكابي بين كفَّيك .

ها أنا ذي أقف صوب كل الجهات فلا أرى غير الوحشة صارت لغةً للكون' وفي آخر الليل.. أغلق أهدابي كما في الموت.. وأسند رأسي على وسادة فقدت شهية النوم.. أرتِّب المواسم.. وأتوكأ على شبح حلم.. أبسط كفي، لا أريد سوى دسِّ أصابعي في يديك.. فتستقيل رغبتي في السهر وأعيد للسماء أفقها المستعمل.. عندها أطوي الوحدة طيّ السجل لذاك الذي فات.. لذاك الذي أسموه رغمًا عنِّي عمرا.
أحتاجك.. أحتاجك كزهرة تتمني لو يضمها كتاب.. لكنَّ الليل أطول من ذراعٍ للِّقاء.. فأسكن الطابق الخامس من العتمة.. حيث يمتد خيط رفيع أتشبث

بطرفه ولا أعرف منتهى حد الختام.. أمسح القتامة عنِّي وأُلقي باليأس من النافذة.. وللقمر أرسم شفاهًا كي يبتسم.. وأنتظر حيث أقيم.

obeikan.com

نبض يتيم

قالوا لي: إن خبز السعادة متوفِّرٌ الآن في متجر الحياة على أرفف القدر؛ مددت يدي لأتناول كسرةً، فعض الرغيف إصبعي!

obeikan.com

مات الجوع بداخلي وأنا ألوك بعثرتي وأزدردها حتى لا يراني أحد.
لمَ دومًا لابد أن ندفع ضريبة باهظة حتى ننال ما نريده قبل أن نتذوقه!

أعود إلى حيث كنتُ، أغرس أظافري في سقف الغرفة المطبق على صدري علَّني أستطيع التنفس ، ولا أتنفس! فقد مات حلمي وركلتُ قبره ، ولن أبكي عليه أو على كسر قدمي ، وكذلك لن أنتعل حلمًا آخر!
سأسافر بعيدا وبعيدا، وأنا أغنِّي أغنيةً عقيمة تتحدث عن الحب، والحلم، والأمل، وكلِّ الأشياء الحمقاء التي تنعش ذاكرة سذاجتي، حتى تنشقَّ حنجرتي، وتتعثَّر قدمي، فأسقط في حفرة اليأس، وأهيل تراب النسيان على كلي!
لا تكترث يا سيدي، ربما أستيقظ في أحد الصباحات أفرك ذاكرتي براحة يدي فأجدها بيضاء خالية من كل شيء، وأتخلى عن كل عاداتي السيئة وأولها الثرثرة عنك، وأنام مبكراً كالعصافير، وأستيقظ متأخرة كالأمنيات الكسولة، وهكذا سأشعر بالانتصار لأني سأكون وحدي بدونك بعد أن تكون قد تلاشيت من جوف قلبي وقاع عقلي!

يا الله .. أشعر بالتعب، مازلتُ الطفلة الطموحة التي تتطلع إلى كسرة خبز من متجر الحياة؛ كسرة خبز أغمسها في حلم ممكن وغاية غير مؤجلة، أقضم السعادة بأسناني التي تفتتت وجعاً ، ولا أموت قبل أن أعرف كيف هو طعم الارتواء؛ فأنا فى حاجة إلى روح تحتضن روحي وتمنحني دفئًا، تقاسمني ذرات الهواء فلا أتنفس وحدي!

فاشلة أنا في لعبة الحياة، فحين أفكِّر في ذلك أبكي من حجم المسافات التي أقطعها تفكيراً وانكساراً كطفلة تتمرغ في نبض يتيم.

الأبواب تموت واقفة!..

الحنايا الكئيبة تسأل في صمت عمّن كانوا هنا!

obeikan.com

جدار الدار يشعر بالحنين، يمدُّ أذنيه فتأتيه أصوات الصبية الصغار تشقُّ الزمن البعيد، ترجف حجارته شوقًا إلى شخابيط أناملهم وهي تخربش فرحةً، تمارس غواية اللون فترسم وجوهًا لأولئك الذين هم أهل الدار.

الطفلة تقفز فتقفز من قدميها الصغيرتين شرفات الغد وتتناثر على السقيفة بينما رياح تشرين تعبث بثوبها الأبيض. تجلس عند الدرج، تكتب رسائل إلى أهل الدار،؛ تحشو مشاعرها في دفتر.!

الأبواب واقفة، والدار يصرخ: وحدتي الصاخبة في المكان مأساة.. كيف لي ألا أحزن إلى الحد الذي أتنفس فيه جوفي لأنه برائحة من كانوا هنا؟.

رحلوا.. غير أنني أحتضنهم، أنام واقفًا، وحيدًا، غابات من الأسى وكثير خوف يسكنني؛ أيمكن أن يكون للدار أقدام لأرحل معهم؟.

ها أنا، أشم الوهم وهاجس اللاعودة يعشش في ثقوب السقف، الفراغ يمتد خال إلا من عصفورين عاشقين أحدهما يهمس، يطيران ثم يحطان على شباك صبي غائب، ينوحان فيحسب المارة أنهما يغردان.

كما يكون النواح لاحقًا، كان يغرد وهو يكتب رسالة حب طفولي لابنة الدار لم تصل، يدسها تحت زاوية الباب اليسرى، يمضي بعيدا، على قارعة الطريق يترقب، نصف نهار كافٍ لأن ينحت ملامحه يأسًا، يعود في الغد يكرِّر المحاولة، دون أن يدرك أن رياح تشرين تتحرش برسائله لتستقر تحت أقدام المارة.

يا إلهي، هذا السكون الراكد خلفي في بضع سنين، يهتف أن ثمة ناس، تستضيفهم ديار عند الربوة القريبة، سعادتهم، صخبهم، ضحكاتهم، دفء ليلاتهم الشتوية، حكاياهم التي تنبت في الصباح ويحصدونها سمرًا في المساء حول مدفأة تلمع في عيونهم فتزيدها بريقًا ودموعًا. أصواتهم البعيدة تورثني وحدةً عقيمةً وشعورًا بالخواء!

اكتشف ذات ليلة أن الجدة رحلت، لترحل بعدها بقية الأنفاس..

يعمُّ الصمت إلا من شهقات الصغيرة تنتحب وتعضُّ على شفتيها، ترجف، تدسُّ وجهًا في الجدار، لا أتحمل هذا.!

كل ما يشكل الجوار جاف، ضاحية المدينة موحشة، ألا بد من كل هذه الآثار؟
ألا بد أن تتركوا الجدران البيضاء وراءكم؟
ألا بد من الرحيل؟.
ألا بد أن تموت الأبواب واقفةً؟ .. أكان الأمر عادلا؟..

obeikan.com

الباقى من الغد..!

أصنعُ من العناد ضمادةً وألفها حول رأسي، أحمل تمردًا ذا رأسٍ مُدبَّب، أدور حول نيرانهم كإفريقي وأصرخ: أن توقفوا عن الضجيج !

obeikan.com

أنا متعبة.. قولوا لهم.. أن يكفوا عن الشكوى وعن البكاء؛ قولوا لهم.. أنْ يوقفوا الحديث عن الألم والحزن والفقد والشوق والغياب والفراق والانتظار، كل تلك الجراثيم التي لم يُكتشف لها مصل بعد! أخبروهم أنَّ الحبَّ عاهة مستديمة،

من يصاب به عليه التعايش معه مدركًا أنه يكمل الطريق بقلب أعرج!

يقولون - عبثاً - إن كوكب الأرض يعاني الاحتباس الحراري، أقولها صدقًا موغلًا في اليقين: إن بعض البشر هم من يعاني احتباسًا حراريا وارتفاعا شديدا في درجة النواح، وأظنهم مثقوبي طبقة الأوزون أيضًا.. مغموسين في الحرمان حد الأعناق.. والهواء قليل.. يستعجلون قطاف الأحلام التي لم تنضج بعد.. ثم يشكون مرارتها! الزجاج محكم بينهم وبين من ينادونهم حتى تحترق الحناجر.. يرصّون الانتظار.. يدخنون الأمل.. ثم ينفثونه يأسًا يزكم قلوب العابرين. حالمون بفضاء أكثر اتساعًا من الممكن، فتتكسر أجنحتهم حالما يتبادلونها مع العصافير الرمادية.

تؤرجحني عذاباتهم في سماوات لتلقي بي في كوكب التساؤل المدبَّب، يَخُـزُّ صدري الألم، تبًّا لي.. التطعيم الذي اتخذته لي وجاءً كان فاسدًا، وكنت قد حقنتُ به كل مواضع الشعور، ونثرتُ البقية على جهازي العصبي ببخاخة اللامبالاة.. حسبت هذا مضمونا.!

لا أنكر أنني كنت أشبههم، لم أستمر طويلا، دسست يدي ذات صحو في ذاكرتي، عثرت على بعض ضوء مخزون، ما كنت لأفعل لولا هذا الرجل الذي كان يشعل الثقاب ويرمي بها في طريقي فتلسعني؛ لم يك حكيمًا أو طبيبًا، لم يك فيلسوفًا ولا عبقريا، وإني أراه مجرد عاشق فاشل، كان يقول -بصوت منهك-: «الذين نحبهم تجار يمارسون الغش علانيةً.. حين نشتري منهم حياتنا وندفع قلوبنا ثمنًا.. نكتشف حين يرحلون أنهم لم يعيدوا لنا «الباقي».!*

تاجر مفلس، خسر معظم رأسمال قلبه، أغلق المتجر في أناقة وعزَّة، لم يشهر إفلاسه، بينما تأخَّرتُ أنا، تأخَّرتُ قليلاً.. سُرق بعض رأسمالي، بعضه الآخر

أُختُلِس، لا بأس.. لكنني قررت أن أكون مثله حتى لا أصبح كـ «الدائخة من الضأن»!

obeikan.com

---

* سهيل اليماني

أحاديث الليل والنهار..!

«ما فائدة أن يتَّسع العالم وحذائي ضيِّق».؟
لا أدري أين قرأت هذه الجملة، لكنني قرأتها مرات ومرات ومرات..!

obeikan.com

ما فائدة أن يتسع العالم وحذائي ضيق.. وضعتُ يدي على حذائي، أحسستُ خفقه، ضغطتُ عليه فعضَّ أصابعي.. ضيق.. لا يحتمل أحزان الآخرين وشكاواهم.. فيتشقق..!

قالتْ لي صديقتي: اكتبيني !
قلتُ: كيف هذا؟
قالت: اكتبي حزني.. ارسمي منحنيات وجعي ولا تنسي أن تصوِّري أحلامي وهي تخبو وتتحول إلى رماد..! ها أنا أفتح قلبي على مصراعيه فى مهبِّ البوح، هاتي قلمك وفكِّي الاشتباك بين وجعي وقلبي..!
أنا يا صديقتي أحقن أوجاعي بأمصال الصبر في الصباح لأكتشف فسادها فى المساء، فأتكوم في الركن أقدُّ الأحلام من وهم.. ترى! هل تتسع أوراقك لبائسة مثلي؟

أسندتُ ظهري إلى جدار الصمت وعلَّقتُ عينيَّ فى سقف الغرفة ثم قلتُ لها: أعتقد أنكِ السبب فى ثقب الأوزون؟
قالت: لم أفهم!
قلت: أنتِ تمنحين كل الآلام المشردة حقَّ اللجوء والعيش فيك من دون تأشيرة ولا جريرة !

كنا فى شقتي الباردة إلا من مدفأة تراود حطبها عن دخانه، قامت وأمسكت المشجب لتقلِّب الحطب بعد أن أشعلت مدفأة قلبي بدمعتها الوحيدة التي انحدرت على كتفي وهي تستند إليَّ، أوجعتِني يا صديقتي..!
عادتْ وجلستْ إلى جواري وأسندتْ رأسها إلى كتفي، ثم قالت: أشعر بالجوع.
قلت: ارفعي عني هذه الجمجمة لأذهب وأعدّ لنا شيئا يأكلنا، فضحكتْ.

استهلكنا كسرات صغيرةً من الخبز وأطناناً من الدموع، ثم غفونا.

لا أدري كم من الوقت مرَّ علينا ونحن متكومتان في ركن قريب من المدفأة على وسادة واحدة كبيرة، ظللت أتأمل وجه صديقتي وهي نائمة، كانت ملامحها مشتبكةً، آه.. كم أحبُّك يا صديقتي وأشعر وكأنك ابنتي رغم أنك تكبرينني بثلاثة أعوام، ؛ بعد لحظات استيقظتْ، نظرتْ إليَّ وقالت: هل حقًّا الحزن متَّفقٌ عليه؟

قلتُ: وفي أي سندٍ ورد هذا ؟

قالت: في التعيسين، وضحكتْ.

قبَّلتُ جبينها ونهضتُ لأعدَّ فنجانين من القهوة، وما أن بدأ بخار القهوة يراقص جو الغرفة حتى نهضتْ هي متثاقلةً بالنوم، مدّت يدها إلى قيثارتها وبدأت تعزف لحناً حزيناً كعادتها، وتغني بصوت شجي:

«تايبين ما نـمُــرّ مرة بدربكم

وحالفين ما نرُد يوم على حبكم

غلطة مرة ونتهت وشمعة العِشرة انطفت

والذنب هو ذنبكم.. الذنب هو ذنبكم

تايبين وما يرجعنا الحنين»

وكنت -أنا- هناك على طاولة الرسم أحاول أن أنتهي من مشروعي الذي عليَّ تقديمه في الصباح إلى لجنة التقييم في الجامعة، لكنني لم أستطع رسم خط واحد، كنت أمسك بالأقلام والأدوات وأرقب صديقتي عن بعد، أتأملها وهي تحتضن قيثارتها، وتسند ذقنها إليها وكأنها توشوشها، في حين لا تتوقف أصابعها عن الحديث مع الأوتار.

كانت القهوة الساخنة تمسح عني الإرهاق وتسكب فى روحي خدرًا لذيذًا، تذكرتُ اليوم الأول الذي قابلتُ فيه صديقتي، كان أول يوم لي في الجامعة، أنهيتُ بعض الإجراءات وتسلمتُ قائمةً بمواعيد الفصول الدراسية كي أختار

منها ما يناسبني، خرجتُ إلى ساحة الجامعة وجلست على مقعد بعيد في أقصى الجانب الشرقي من المبني، كان الطقس بارداً، والسماء تدمع، وبعد دقائق جاءت فتاة بملامح شرقية جداً، شعر أسود، وبشرة قمحية، جلست إلى جواري؛

وقالت: يا لطيف، هلكنا المطر، بيكفي!

فرددتُ عليها: لم تمطر بعد، إنها فقط تتثاءب!

نظرتْ نحوي وضحكتْ، ثم قالتْ: أنتِ عربية؟، فقلتُ لها: لا، أنا بشرية، ضحكتْ مرةً أخرى وقالت: بالله عليكِ، فقلتُ: أتحدث معكِ بالعربية، فمن أين تظنينني؟ من كوركيناسشيا؟ وضحكنا، ثم أكملنا تعارفنا، وساعدتني كثيراً في اختيار مواعيد الدراسة وكذلك في أشياء أخرى.

توطدتْ صداقتنا وأصبحنا نلتقي كثيراً، ثم اقتربنا أكثر فأصبحنا كأختين، لم نكن نفترق إلا في أوقات الدروس في الجامعة. نقضي الأمسيات نتحدث، نضحك، نلهو، ونلتزم الصمت فى ليالي الاستعداد لامتحان..!

كنتُ شاردةً منها فيها عندما نادتني قائلة: هيه، أين أنت الآن، في أي قطعة من هذا العالم الأحمق؟

قلت: كنتُ معك فى عالمك، أتذكر كيف التقينا على بساط القدر، وإلى أين نطير..

قالت: نعم، ثم أردفتْ: كم أتمنى لو أراه! هل يتمنى هو الآن أن يراني؟ أم أنه تركني وراءه مثل مخلفات الحرب؟

قلت: بل مثل مخلفات الحبّ، .

قالت: كان أجمل أحلامي على الإطلاق، .

قلت: وأصبح أسوأ كوابيس حياتك على الإطلاق أيضاً، أما آن لك أن تطوي هذه الصفحة أو تنزعيها حتّى؟

تنهدتْ وقالت: يظنني صدَّقتُ نبوءة النسيان التي تنبأ بها لي في آخر مرة رأيته فيها؟

وما كانت إلا نبوءة لعنة أعيش بها وبه حتى الآن، لم تستطع أوردتي تمرير

ذبحة فراقه ولا صدمة زواجه، كل الفواجع تتجمع في دمي وتتدفق في شراييني.

قلت: أي حب هذا الذي ينكمش ويتكور ويدس نفسه غصةً عالقةً في الروح، كفاك..
تنهدت قائلةً: تبًّا لي، ما زلت أحبُّه، ثم أردفتْ: ما بك؟
قلت: أنا؟ ليس بي شيء، فقط قلبي يترنح..
قالت: هل تعلمين؟ لك قدرة خارقة على الاستماع وفي صمت أيضًا، هل تذكرين ليلة أن قصصت عليك القصة كاملةً وظللتِ تستمعين إلي حتى السادسة صباحاً، بصبرٍ وصمت؟ ما من أحد فعلها معي قبلك..
قلت: نعم.. أتذكر جيدًا، بعد ليلة الحريق تلك، خرجنا في الصباح الباكر لنكافئ أنفسنا بقهوة ومخبوزات فرنسية، ثم عدنا إلى هنا ونمنا نومة أهل الكهف ليوم كامل وليلته، صحونا بعدها فاقدتي الذاكرة وقتيلتي الجوع، ضحكتْ، ثم قالتْ: هيًّا، قلتُ: هيًّا ماذا؟ ارحميني، هيًّا ماذا؟
قالت: اكتبيني، هاك القلم والدفتر، أرغبُ بشدة أن أقرأني على سطورك، أشعر بالإرهاق وبرغبة عارمة في النوم، سأتركِكِ مع القلم والدفتر وأنام، وعندما أصحو أقرأ ما كتبتِ !
قلت: الله عليك، كم أنتِ جميلة وكريمة، تنامين وأنا أخيط الليل بالنهار لأكتبك، حنونة أنتِ، وبينما أحدثها، كانت قد اعتلتْ صهوة النوم وانطلقت.
جلستُ إلى مكتبي في ركن من الغرفة وبدأتُ أمارس عاداتي السيئة في الكتابة، فنجان من القهوة الـمُـــرَّة، وضوء خافت، وموسيقى باكية النغم، وقلم صغير يؤلم أناملي، وكتبت: «ما فائدة أن يتسع العالم وحذائي ضيق»..!

نبأٌ مؤجل ..!

الموت عادةً لا يطلب الإذن للدخول، ولا يلقي التحية على أهل الدار، بل يدخل متخذًا طريقه إلى هدفه مباشرة، يؤدي المهمة في سرعة لحظة احتراق فراشة مسَّها النور ثم يخرج تاركا وراءه شيئًا ما لم يعد صالحًا للحياة.!

obeikan.com

كنتُ أراه وهو يقترب من مخدعي رويدًا رويدًا، ثم وهو يمد يده في حلقي وينزع حزمة ضوء من صدري ويغادر.!

تركني أُحدِّقُ في هذه الكتلة الضعيفة الصغيرة الممددة على الفراش..!
شيء ما كان قد انفصل قبل مجيئه جعلني أحوم بالقرب من سقف الغرفة، أترقَّبهُ وهو يؤدي عمله بإتقان.!

على عتبات الفجر، جاءت أمِّي لتوقظني للصلاة، جلستْ قريبة منِّي بعض الشيء، لم تلمس بدني الساكن البارد، لكن قلبها قد فعل، وبدتْ دموعها كراياتٍ منكسة إثر هزيمة فجائية.

حاولتُ أن أقتربَ منها، أحتضنها، أرتشفُ دموعها بوجهي، لكنني فشلتُ في تحريك ذراعي وفقدتُ السيطرة تمامًا على جسدي فقد انفصل عني وأصبح غريبًا عليّ.!
بقيتُ أنظر إليها وهي تحدث « الله» وتستودعني إيَّاه جلَّ جلاله، ثم غادرتْ الغرفة لتأتيني بأبي الذي دخل منحنيا وفي عينيه بكاء وصبر يتحدثان على إنفراد.!
مرَّ وقتٌ لا أدري طوله ، وامتلأت الدار بأهلي وأحبابي وأصحابي، كنتُ فرحةً جدًّا بهم ، كنت أحوم حولهم أُقبِّل رؤوسهم وأُحدِّثهم لكنهم كانوا منشغلين.. البعض يتَّشح بالوجوم والبعض الآخر يبكي بحسرة ووجع .!

ثم جاء موعد الحمَّام الأخير.. تطايرتْ روائح عطرة منعشة ملأتْ فراغ الغرفة العلوي وقاموا بلفِّ جسدي بالأبيض الجميل، حملوني وخرجوا ، خرجتُ معهم، وكنت أسير إلى جوارهم ، بينهم ، حولهم ، وأحيانًا فوق رؤوسهم، كانوا يسيرون بسرعة، رأيتهم حين ارتفعتُ فوق رؤوسهم وكأنهم سيلاً بشريًا جارفًا يتجه إلى مكان ما.

الله ..!

صوت قارئ القرآن شجي، والأدعية التي تتردَّد ينحني لها القلب ويخشع.. تـمَّت المراسم، وأنزلوني إلى باطن الأرض، المكان مظلم جدًا ومخيف! أغلقوا الفوهة التي نزلتُ عبرها، ثم سمعتُ أصوات أقدامهم وهي ترحل، وهمهمات دعاء مغموس ببكاء من أظنُّها أمِّي.!
شعرتُ بالوحدة ، بكيتُ ..تقلبتُ حيث أنا ، وفجأة ..تنبَّهتُ.. نظرتُ حولي، حاولتُ أن أضمَّ شعاع الشمس المستلقي على فراشي، ضممته وضممتُ كفِّيَّ إلى وجهي واستطعت أن أضم ركبتيَّ إلى صدري ، وأدركتُ أنني لم أمُتْ.!

obeikan.com

هل من الممكن ..؟!

هنا.. في فنجان القهوة، التبس عليَّ الأمر..
أهو لون البن أم قهوة عينيك ..!!؟
هكذا أنا.. أبدأ دوما بك؛ لأني لا أنساك أبدا.

obeikan.com

كان مزاجي سيئا.. لا أحب كلمة مزاج ، لا أستخدمها كثيرا ..
لعلي أفضل قول: إنني لم أكن على ما يرام..
فكنت أراني كالفراشة ، ضعيفة ، خفيفة ، وحمقاء، تطير وهي تعلم أن أجنحتها الواهية لن تتصدى لرياح الدهشة؛ تحاكي أطيافا بلا شفاه.. وتنتظر إجابة!
تحتسي رحيقا ما عاد له وجود ، لوفاة الكثير من الأزهار.!
فنجان القهوة شديد المرارة هذه الليلة، أدخنة الفنجان ترسم لي أشكالا.. دوائر تشبه وجوه بعض الأشخاص، وجوها طيبة جميلة، ووجوها شريرة خبيثة أشعر حيالها بالشفقة.! ترسم أيضًا خطوطا باتجاه الأفق.. تحمل على ظهرها بعضًا من الماضي.. ذكرى جميلة.. فكرة جميلة.. شخصا جميلا كان يقول كلامًا – مثله - جميلا ..!
تحمل لي صوتًا يُشبه الرعد الغاضب فأهتزُّ والدخان ألما، ونتلاشى – سويا - احتجاجا.
تطير أدخنة فنجان القهوة مع أنفاسي يدًا بيد ، ويرتاحا على صفحة وجهي فأغمض عينيَّ متظاهرة بأنني لا أريدهما ، بينما أفتح أشرعة رئتي لتحتوي تشردهما .. وتنهي وحدتهما في صدر غربتي ونتنفس جميعنا وحدة..!

سألني صديق: هل من الممكن أن يلتقي الأمل كله، والإحباط كله في إنسان واحد؟!
أجبته: ممكن جدًا ، عندما يمد يديه مبتهلا ، يستجدي الأمل أن يحميه من الإحباط الذي ينهشه.!
صديقي الطيب ينتظر إجابة مني ، وهو لا يعلم أنني محبطة لأن الأمل يراوغني كثيرا .. أتعبني .. وأني أفكر في تغيير اسمه من أمل إلى ملل ربما يتحشم ويتحقق..!

سأحاول يا صديقي أن أخوض تجربة الإجابة
في المرات القادمة ، على هذه الصفحات.

الإنسان يحمل الأمل كله !

الإنسان يحمل الأمل كله، مقولة مشكوك في صحتها بنصل اليأس..!

obeikan.com

بالعودة إلى الوراء يا صديقي..
أراني لا أجد إجابة عن: لمَ دومًا- وأنا صغيرة - كنت أقف إلى جوار الغسالة أرقبها وهي تلوك الغسيل، أتطلع إلى فوهتها التي تشتعل برغوة الصابون الأبيض، وتنتابني رغبة عارمة فى تذوُّقه ؛ كنت أمدُّ يدي مرارًا ، وأتراجع مرارا، لكنه كان أملا وحققته.
وبالعودة إلى الوراء بخطًى أوسع..
كان السجاد المنقوش يتراقص عليه الخيال في مسرح عينيّ..!
كنت أنظر إلى رسوماتها وأكوِّن قصة، أتخيل أشخاصًا وحدائق أزهار وأميرة وفارسا، وكنت دوما أخاف من حواف السجادة، أعتبرها كحواف النهاية!
فى رحلتي الخيالية تلك..كنت أتألم جدا إذا مرَّ أحدهم ووطأ بقدمه على أبطال قصتي !
كنت أمرُّ بأصابعي الصغيرة على وبر أبطالي وأعتذر لهم قائلة: لا يراكم غيري فاعذروهم.. هم لا يعلمون بأمركم وإلا لكانوا رفعوا السجادة وفرشوها على الحائط.!

الكثير من الأرق..!

الكثير من الأرق وبضع أشخاص لهم ألق.. والكثير من الورق لا يكفينا لنتحدث عنهم؛ فهم يملكون بداخلنا شيئًا ما، يفسد إذا ما حددناه.

obeikan.com

أذكر جدتي.. عندما كانت تنفق الكثير من الوقت فى رسم أشكال على قطع من قماش متعددة القياسات، مستخدمة عدة إبر بأحجام مختلفة ، كانت تعمل بعناية فائقة وتؤدة وصبر يدهشني!

سألتها مرة : لماذا؟

قالت: لأني أريد أن أفعل.!

هل نفعل كل ما نريده؟ واذا سألنا أحدهم نقول: لأننا نريد أن نفعل؟!

أشك بذلك جدتي.. لسنا أحرارا إلى هذه الدرجة ، نحن نقيِّدُ أنفسنا بأنفسنا، حتى وإن كان ما نستخدمه كقيد في نظر الآخرين – مجرد - لا شيء ، وأننا – فقط - متزمتون أو مرعوبون.!

حين لمست فى جدتي كل هذا الاهتمام بأقمشتها ورسوماتها ، حرصت على أن أساعدها ..

أساعدها بالحفاظ على إبرها التى كانت تتناثر فى كل مكان وتؤلم أقدامنا الصغيرة..!

نظرتُ حولي فوجدتُ فى الحائط بجوار مقبس الكهرباء فتحتين، فقمتُ بتخزين الإبر بهما، وأثناء ذلك صعقتني الكهرباء وأُغشي عليّ..!

عندما أفقتُ، كانوا من حولي يبكون، فقلت لهم: إن الإبر محفوظة، ولن «تشكشك» أقدامكم مرة أخرى.!

طفلة لا تموت.!

تعدتْ سنوات عمري العدَّ على اليدين والقدمين، ولازالتْ الطفلة داخلي لا تموت.!
بل نشيطة جدا.. طفلة جدا، وأخاف أن تكون مازالت بريئة جدا، فإذا كانت؟! حتما سنتألم كثيرا «وسط» الكبار.!
مازالت الطفلة داخلي ترتعب من أفلام الشر الحية ، والصوت العالي يزعجها، وأخاف أن يشتدُّ بها الخوف فتعود لتختبئ في خزانة الملابس، كما كانت تفعل قبل يدين وقدم من عمرها.!
هي الآن تختبئ.. داخلها ، لا تريد أن ترى وجه العالم وهو عابس..
تضحك وتقول: أنا شجاعة لكني أخاف!

الحياة تعني ألم.!

[Life is pain]

جملة سمعتها في أحد الأفلام الأجنبية؛ كان المشهد:

ابنة تتزحلق على الجليد ، وقعتْ ، صرختْ.. اقتربتْ منها أمُّها.. فقالتْ لها البنت: أمِّي.. إني أتألم!

زجرت الأمُّ ابنتها قائلة بقسوة : Life is pain ! وعليكِ أن تعتادي ذلك، انهضي!

ثم أدركت الأمُّ -لاحقًا- أن ذراع ابنتها قد كُسر.. فأنَّبتْ نفسها كثيرا!

لم تفعل الأمُّ غير ما يفعله كلُّ البشر، «حُكم سريع» أصدرته دون تمعن أو تحمل مشقة التحقق من جدية الألم.!

لا أنسى هذه الطفلة، ودموعها المعلقة على أهدابها كالفوانيس، وشفتاها المرتعشة تسليما للأمر، وربما إحساسا بالقهر.!

أقوى الآلام هي التي تنخرها أصابع المقربين منا؛ فتترك جروحًا لا تندمل أبدا.. بل تتعتق كالمشروبات المسكرة داخلنا، فإذا ما تذكرناها، نفقد الوعي وجعا.!

حسبى حاسوب..!

اشتريت حاسوبًا جديدًا حتى يعينني على إنهاء بعض أعمالي بالبيت، لأن حاسوبي القديم صغير جدا.

حاسوبي القديم كان مثل الحقيبة الصغيرة، أصحبه معي في كل مكان، كان رفيقا رائعا لكنه شاخ ، وأصبح لا يقوى على مسايرة السرعة المهولة والتقدم السريع الذي يتجه به العالم نحو الهاوية..!

كانت صديقاتي يتندرن عليه.. فهو برتقالي اللون، ويحمل تفاحة مقطومة على ظهره، وهندسيا يشبه «قطعة تورتة».

أشتاقه كثيرا..!

مريضة أنا بأغراضي.. لا أتنازل عنها بسهولة؛ لعبي الصغيرة وأدواتي، وكتبي، أحتفظ بكل شيء!

أذكر أن والدي أشترى لي دمية.. كانت كبيرة الحجم..

قال: اشتريت لك أكبر «عروسة» في السوق..

وقدمها لي قائلا: تفضلي ابنتك.!

وقال للدُمية، مشيرا إليَّ: «هذه ماما».

نظرتُ إلي الدمية، ثم إلي والدي وقلت:

«دي هيا اللي ماما.. دي كبيرة أوي!»

فضحك وقال: غدا ستكبرين وتصبحين أكبر منها.!

كان محقًّا.. فأنا أكبر منها الآن..

ولكني كلما نظرت إليها.. ينتابني شعورا بأنها «ماما».

صالح جدتى.!

طفلة.. ولا خلاص من ذلك؛ كلمة «حلوة» واحدة، يمكنها أن تحولني من طفلة بائسة إلى طفلة سعيدة في ثانية ، والعكس جريح!!

أتذكر يوم وفاة جدتي ..

قلت لأبي: أريد أن أذهب معها كيف سنتركها هناك وحدها؟

قال لي: حبيبتي، لن تكون وحدها.. سيكون معها «صالح»!

قلت : «أيوة يا بابا، صالح طيب ، عملها طيب إن شاء الله»

وكان والدي قد أخبرني عن العمل الصالح الذي يرافقنا إلى قبورنا في شكل قصة طفولية جميلة!

ذهبتْ جدتي، لكنها تركتْ بداخلي أثرا كبيرا، ورغم مرور سنوات وسنوات إلا أنني ما زلتُ أراها تصلي في ركن الغرفة، فيرفرف في صدري طائر حزين.!

المحاكمة حبًا . !

أخبرني أحدهم - حبًا - أن أُعدَّ نفسي لمحاكمة قادمة!
كم من المحاكمات نُصبت لنا؟.!
كم من البشر حاكمونا، أو أصدروا أحكامهم علينا من دون منصة!
كم حكم أصدرناه نحن، ضدَّ قلوبنا المسكينة، ومشاعرنا، ولم نرحم لهاثها بأسماء سكنتنا يوما؟.!
بعض الأشخاص يدخلون قلوبنا في غفلة منَّا، ويغلقونها عليهم.! تسقط الحيلة من أيدينا لإخراجهم، رغم أنهم يقوضون النبض، ينثرون الفوضى بالقلب، ويدهنون جدرانه بالوجع.!
المفتاح بالداخل - معهم - ماذا عسانا أن نفعل؟!

حـمَّلني والد صديقتي رسالة إليها قائلا: قولي لها لا تحرمي نفسك منا!
حملتُ الرسالة في كلِّي، كانت كلماتها تزلزلني طوال الطريق..!
فصديقتي منذ تزوجتْ وهي مشغولة بالبيت، والأولاد، والعمل، والزوج، وبنفسها أيضا؛ ولا تطعم أبويها إلا مرة واحدة في الشهر بزيارة دسمة تستمر طوال النهار، وبقية أيام الشهر تحرص على أن تبلِّل شفاههما بصوتها عبر هاتفها النقال.!
تخسر كثيرا صديقتي!
فكل يوم يمرُّ وهى بعيدة عن جذورها، يزرعها رأسا في أرض ندم القادم لا محالة! تدَّخرُ مخزونا من اللوم والألم للقادم من العمر، وهي لا تدري! ستحاكم نفسها كثيرا بعدما تموت الجذور.

طيور كتاباتك تحوم فى أفقى..!

كم أتمنى أن أكون كالعصفور ؛ أعبر الأفق فلا أترك أثرًا ولا يعكِّرُ مروري الأجواء!

لو أستطيع أن أكون إنسانة طيفية؟

نعم أريد أن أكون كالطيف!

الأطياف لا تترك آثارًا ، هكذا أود أن أكون في حياة الآخرين؛ أدخلها، أسكنها، أرحل عنها طوعًا أو إذعانًا لأحكام القدر، ولا أترك خلفي أثرا كبيرا، سواء كان جميلا أو قاسيا أو حزينا أو حتى سعيدا ..!

أحاول أن أفعل.. أن أكون كالعصفور؛ فالعصفور عندما يقف أمامنا على السور ثم يطير، لا يترك أثرا .!

غير أن بصدري عُشَّ طيور، هكذا أشعر.. عندما تباغتني السعادة بزيارة مفاجئة على غير عادتها، أبسط جناحيَّ في خجلٍ وأطير.

أو .. عندما ترتوي صحراء قلبي بقطرات ماء موسمية، لا أنالها إلا قليلا لبُعد السحاب عني .. فهو معلق في سماء بعيدة، إذ تدفعه رياح الشوق والحنين، ويجذبه الضغط القلبي - مرتفع الحرمان - نحوي ، فيأتيني ليوقظ كل طيوري.

اللقاء الأول.!

ما زالتْ صديقتي تتذكر: «أنَّ الحب الأول كالوشم في حياة بعضهم، لا يزول حتى لو حاولنا إزالته بماء النار، فأثره باقٍ.!

obeikan.com

أتذكر اللقاء الأول..

بيني وبينه طاولة عرضها في حدود المتر، وكانت هذه المسافة هي أقصر ما استطعت للاقتراب منه؛ مرتْ عشرُ دقائق صمت، يتفحَّصُ كلٌّ منَّا الآخر، ينظر في عينيه نظرة مباشرة، وكأننا نبحث في تلك الحفرة البيضاء ذات الدائرة البُـــنِّية عن شيءٍ هام!

تنبهنا على صوت الصمت، سعل برِقَّةٍ، سعلتُ بدوري كأني صدى، ثم قال «أحبُّك».!!

لأول مرة في حياتي أشعر بأني علبة ألوان؛ علبة ألوان جالسة أمامه!

فعندما قالها، اصفرَّ وجهي من المفاجأة، ثم ابيضَّ لأني شعرتُ بالبرد.! وبعد أن أدركتُ الكلمة صار لوني أحمر، ثم اخترقني مقص السعادة فتحولت إلى اللون الوردي.! نظر إلي ينتظر ردًّا، لم أردَّ.. لا.. لم أردَّ، بل اتجهتُ بنظري إلى بعيد.!

قال: أتحبينني؟ !!

فتحولتْ شفتاي إلي اللون الأزرق لفقداني النطق خجلا.!

قال: أنا آسف.!

فزحف اللون الأسود ليغطي جزءًا من عقلي الذي ظنَّ في هذه اللحظة أنه يعتذر عن حبه لي.!

علبة ألوان كاملة أنا.!

سألني ماذا أريد أن أشرب؟ وكنت قد نسيت - في حضرته - أنني كائن يعيش على الغذاء والماء وليس على نظرة عينيه.!

قلت: لا شيء.

(فلا أظنُّ أنَّ هناك أي شيء يمكنني أن أتعاطاه سوى وجوده، لا شيء يمكن أن يمرَّ إلى داخلي سوى حبه، فكل الأجهزة بي معطلة الآن، إلا القلب).!

لا أتذكر كيف انتهى اللقاء، لكنني أتذكر جيدا أنني عند عودتي كنت أحتضن كل شيء.. كل شيء، الهواء الذي كان يستقبلني في طريق العودة،

وسياج الدَرَج، وباب البيت، حتى أنني قبَّلتُ المفتاح قبل أن أضعه في فم الباب، كنت علي استعداد أن أحتضن أي شيء حتى السكاكين.!
ولم تذهب هذه الصورة من مخيلتي رغم مرور سنوات، شأنها شأن كل ما أحببتُ؛ وأظنني إلى الآن أرتعش عندما أسمع ذات الكلمة «أحبُّك».!

obeikan.com

منطقة الموت.!

عندما كبرتُ، أو شُبِّه لي.. أحببت .
أحببت وكأنني مرضتُ.. بك أنا مرضت!
وكنت أعيشك لا أعيش حياتي، وكأنني بك تلبست!
يا ليتني ما كبرت.

obeikan.com

هل لي بنظرة من عينيك أرمم بها كبريائي؟
فأنت الرجل الوحيد الذي أحبُّه بضم شفتي حد الألم!
هل تتحسس الأيام وهى تهرب من أعمارنا مذعورة فقداً؟
كم هي بائسة، تعاني فراغ الأحداث.
فكل صباح يتنفس بعيداً عنك هو يتيم، خالٍ منك، يمد يده إليك ولا يطالك.!
الشمس واحدة، تنظر على يمينها تراك؛ فإذا نظرت على يسارها ألهبها أنها لا تراك، فتعود لتسكن اليمين، من أجلك، وتهجرني لأني هنا في الجهة البعيدة عنك.

روحي تحبك.. هذا اسم مشروب جديد أحتسيه كل ثانية، فأثمل بك، وأترنح في اتجاه وجودك!
روحي تخلعني كالثوب، وتغط في حديث لا ينتهي معك، يطول لساعات، ثم تناديك، وتعود، فتقسم أنت لي بأنك سمعت صوتي الذي لم ينطق في غياب روحي عندك .!
أدركني بك.. فأنا مازلت أُلوِّن ملامحي بالصبر وبعض من كبرياء، وأنت تتهمني بالجفاء وما هو إلا شوق سقط مني وبعلمي ، فلم تعد تراه في صوتي أو تخبرك به روحي التي تسير على جسر من زجاج في الطريق إليك!
نعم، إنها تجرح، فغيابك تبجح، والشوق إليك تطاول عليّ فأسقطته في ركن معزول حتى لا يؤلمك عتابا!

في البدء كان السؤال:
هل من الممكن أن يجتمع الأمل كله والإحباط في إنسان واحد؟
كان هذا سؤال صديقي لي!
الآن يا صديقي، وبعد هذه الرحلة العقيمة، أجدني لم أجب عن السؤال، لكن دعني أحاول محاولة أخيرة!

هذه الحياة.. تشبه رقعة الساعة، والإنسان معلَّقٌ في وسط هذه الرقعة كالبندول، يتأرجح يميناً نحو الأمل ويساراً نحو الإحباط، وعقارب الساعة تمرُّ عليه في طريقها عشرات المرات، مئات المرات، وربما آلاف المرات، حسب عدد ساعات عمره، يمرُّ الزمن عليه وهو يتأرجح في تؤدة وصبر، وفي عجلة وضجر، يميل نحو الأمل ثم يتطوح نحو الإحباط!

إذا كان في وسع بندول الساعة أن يتوقف ويسكن جهةً واحدةً، أملاً كانت أو إحباطاً، وقتها فقط، يسكن الإنسان جهة الأمل، وهذا غير ممكن!

لأن البندول وقت أن يسكن، سيسكن الوسط، وكذلك الإنسان عندما يسكن، سيسكن الوسط، وهو مابين الأمل والإحباط: يسكنُ - دون أن يدري - منطقة الموت.

يوميات امرأة مأهولة .!

obeikan.com

التاريخ: اللهم اجعله خيرا
الساعة: الواحدة غربة

إنه يسأل عنك ؛ قالتها ومضت..!
شيعتها بناظريَّ حتى اختفتْ ولسان صمتي يقول: لستِ أول مصدرٍ ينقل لي هذا الخبر؛ بيد أنه خبر هام يتصدر ألسنة الأقرباء والغرباء وقاطني الأرصفة التعساء.!
أيها الكائن السائل عني، أنا لا أتذكرك ، ولا قدرة لي على التذكر أو رغبة.. لذا اشتريتُ بكل ما لدي أنبوبًا أتنفس عبره أجوبة عائمة غائمة تؤمِّنُ لي سرعة التهرُّب من مواجهة أسئلة لستُ مهيأةً لها الآن.
لا بأس، لنقل إنه مدين قديم تأخر في سداد ديونه، أو شبيه عابر مزَّقه التخيُّل والتوهُّم.. وعلى الأرجح ، تنويه عن فيلمٍ قديمٍ يَعبرُ شريط الأخبار طوعًا أو كرهًا في لحظة بلا مناسبة.! وهذا يكفيني لأبرِّرَ سؤاله عني من وجهة ظني.!

التاريخ: غرة تعب
الساعة : الثانية نزقًا

أحتاج أُمًّا..
كي تلدني من جديد؛ فأبدِّلُ البكاء بضحكٍ في لقائي الأول مع الحياة..! تلك نقطة هامة لإعادة العمر إلى «حالة المصنع»
ثم أكتفي بتشغيل حلم واحد ، وأمنية أطهوها على الشمس بتأنٍ؛ أدخل مضجعي بقلبٍ حليق، فلا أهدر الليل في قصِّ أطراف الوجع أو تزيين الحنين بالتخمين عبر كيمياء الأرق.!
أقف أمام القدر بـ أدب..

أمد يدي وقدمي على قدر لحافي، وأؤدي ما يتوجَّب عليَّ من أعمال.. فأرعى قطيع حظي العاثر وأراوغ ذئاب النحس كما مقاتلٍ بارعٍ حاذق.. كي أكون بمأمنٍ من اليأس حين يمشط مسرح ابتئاسي فلا يجد أي أثر يقوده إلى خيبتي..!

التاريخ : الثاني من لا يهم
الساعة : بعد منتصف الذهول

فقاعات الماء تنتفض فوق سطح الكوب البارد
مما أثار رغبتي في أن أطوقها بشفتيَّ الدافئتين لتهدأ ..
فماتتْ في فمي.!
هكذا هي بعض الأفعال.!

التاريخ : الثالث من حنين
الساعة : السابعة فقدًا

حينما كنتُ صغيرة كنت أسأل أبي - كلما ذهبنا إلى البحر -: أين تقع نهاية البحر؟
وكان يقول لي: هناك في الجهة الأخرى من الأرض.. وكـ دأب الصغار كنتُ أحلم بهذه الجهة الأخرى، قطعتُ الطريق إليها بخيالي كثيراً ، غير أني لم أكمله يومًا.!
مات أبي ، والطريق أذواه الملح على جبين النسيان.!
ذلك أن الحياة كي تستمر ، يتحتم عليها التوقف عن المرور على البعض..!
ولا أحد بإمكانه حفظ أحبته بعيدًا عن متناول الرحيل.!

التاريخ : الرابع منه
الساعة : التاسعة صبراً

obeikan.com

ثـمَّة متسع للتأمل بين كلِّ ضحكة ودمعة ،
وثـمَّة وجع يُحكى بين كلِّ حزنين..!
أن نخسر في الحياة ليس بالأمر السيئ البتَّة،
بل السيئ هو الظن بأن ثـمَّة ظلم وقع علينا في هذه اللعبة
سنموت إذا خضعنا لهكذا ظن .!
غير أنه لا ضير من أن نحرف سبب الخسارة من ظلمٍ إلى قدرٍ.. بتصرف.!

التاريخ : الخامس من الحكمة
الساعة : بريق عينيه

يخبرني مسهبًا أنه لا يفعل شيئًا في حياته دون تخطيطٍ مسبق، وأخبره عن عدم جدوى التخطيط في الأشياء التي تتعلق بالقدر.! يضمُّني بجناحيه ، يسند رأسه على رأسي المتعب، ويخبرني أن ثـمَّة سباق نخوضه، يُدعى الحياة، كل ما يشغل تفكيرنا هو أن نصل منه سالمين دون أن نضلَّ الطريق..!
أفتح عقلي بفضولٍ وأسأله عن ماهية السلامة في خضم الحلم بالفوز والوجل من غصَّة المركز الأخير.!
وكما تكون الأشياء في أصدق فطريتها وبراءتها، يرفع رأسي من الخلف كزهرةٍ أرقّ من أن تلمس أنامله خصلاتها.. وتستقبلني عيناه المتوثبتان للغناء، فأركز كل إدراكي وأنفاسي نحوه.. نصمت.. ثم ننفجر ضحكا.!

التاريخ : السادس من عطش
الساعة : العاشرة وجعًا

لا شيء يسدُّ فم الحياة الجائعة لمضغنا دومًا..
ولا شيء يزمزم عطش التائهين بين الـ «أشتهي» والـ لا «أريد»..
ولا شيء يؤلم قدر لحظة أن أتعرى منك..

كما شجرة داهمها الخريف الموثَّق بقسوة الريح
فأشقُّ بأناملي سحب البكاء الجاثمة فوق صدري
وأتسلَّى بنزع جذور الأشواك التي نَـمَتْ في قلبي دون إذنٍ مني.!

التاريخ : السابع من عشق.
الساعة : الرابعة تمردًا

وأنا حين أعشق تصبح كل معالمي أجمل وأخطر.!
الرجل الذي أدخلني قلبه ليطعمني خبزًا وحلوى وحياة ، لم يغلق الباب ورائي.!
ذاك الرجل، ملأ صناديق بريدي بالأغاني والورود وحكايا الغرام، وقصائد بشهد الكلام، وقَصَفَ من دون أن يدري، في صدري، برجَ الحمام.!

الرجل الذي أسقط الجدار الأخير بيني وبينه، فأصبحنَا - ولأول مرة - حبًّا لحب، يطالبني الآن بأن أرمي بقلبي أرضًا وأُنكِّس راية الغرام.!

الرجل الذي يملكني لم يملكني، يحبني ولكن لا يعرف كيف يحبني كما أحب، لم يقترب مني بعمق، أعني لم يضع يده داخل قلبي ثم يسحبها بيضاء بعد أن يخضر حقل قلبي بالاحتواء.!

هذا الرجل أمهلني الحب نصفًا إلا قليلا، ليتورط بعضي فيه وبعضي الآخر لم يزل بريئًا منه، اعتاد أن يلحقني في الثلث الأخير من الفراق، ويستجيب للصالحات من لوعاتي.
هذا الرجل - يومًا ما - سأقفز من شباكه ليجدني عنده.!

حقل أشواك!..

على السادة الفارِّين إلى هنا ترك قلوبهم في الخزانة يمين الباب.
أهلاً بكم على أيَّــةِ حال.!

obeikan.com

أنا محبطة.. يائسة بنسبة تفوق المعدل الصحيَّ المسموح به للآدمين.
كنت أُمنِّي نفسي - في صغري - بمرحلة شباب سعيدة.. وبأني سأحبُّ أحدهم حبًّا جمًّا ، ويحبُّني بما يفوق قدرتي ، فأتخفف من ذلك بتوزيع فائض حبِّه لي في علب «بينك»، أوزِّعها على العابرين المحرومين والعاشقين المحزونين على هيئة قصائد ملتهبة القوافي.. كان حلمًا ، لم يدم طويلا، قُتل في شبابه على أعتاب شبابي كما إخوته من الأحلام اللاحقة.!
تعلمتُ الصبر والمثابرة حين رأيتُ أطنان المشاعر تتكدَّس فوق قلوب العباد، وتنجب أحزانًا وآلامًا لا قبل لهم بها، فقلتُ في نفسي عليكِ بغلق قلبك وكوني نسيًا منسيّا، لا تتألمي ولا تؤلمي، فطفقتُ أهرب من كل وريد، وكنتُ اقول إنني على طريق السلامة.!
أصدقك القول، صدمتي كانت شديدة كوني اكتشفتُ أني والجماد متشابهان حد الأُخوَّة في انعدام الحسِّ والبلادة، فزاد إحباطي وابتئاسي ..!
لكن الأمور ليست دائما كما يبدو، فنحن معشر البشر نعشق التمرُّغ في التهلكة.

ومن منطلق المغامرة تُبرِّرُ المقامرة؛ ذهبت أبحث عني ولم أعد.!
فسولتْ لي نفسي أن أدوِّن بعض الأثر حتى أعود؛
ربي أعدني.
قيل لي - بالمناسبة ، نحن نهدر أنصاف أعمارنا في الاستماع لما يقولون، وليتهم يصمتون- إن «العشق» موضة، فأتيت مهرولة بعد أن سمعت عن الجنان الممتدة بين قلب وقلب !
ولكي أكون صادقة -على غير العادة طبعًا- لم أفهم ما المقصود بتلك الجنان وذلك لفرط جهلي ، فعزمتُ على البحث ربما أصل إلى جنة واحدة مما عنها يتحدثون، وبما أن مثل هكذا أشياء لا يُعلن عنها وتُدفن في طيَّات الكتمان خشية «العين»، لم أصل لشيء ! فتضامنتُ مع جهلي وشاركتُ في حملة «يقولون»!

حديثي التالي مخصص لرواد مقهى «كازاتايم» كونه لا يحمل أي شيء ذا معنى.!

ليس ثـمَّة ما يستحق الحزن وكأن فيما يجري ما يستحق الحزن أصلاً، أو فيما سبق ما يستحق البكاء، فكل شيء يمضي.. حتى أنا.!

يقول أحمد مطر:

«عندما تذهب للنوم تذكر أن تنام
كل صحو خارج النوم.. حرام
وخُذِ الفرشاة والمعجون واغسل
ما تبقى بين أسنانك من بعض الكلام «!
وأنا يا صديقي كلما هممت بالنوم أو همَّ بي، يتملكني هاجس أن أهيم في الدروب أُقـبِّلُ الجُدُرَ ، وأهاجر ، فليس ثـمَّة ما يستحق البقاء، ومع ذلك أجثو على فراشي، أُنير مصباحي فتتسرب العتمة من المكان إلى صدري، ويغادرني النوم بعد أن يفشل في استدراجي.!
أتذكر كلام «مطر».. وأحمل فرشاتي والمعجون، أقف أمام المرآة وأرقب الفرشاة وهي تمارس الحبَّ مع أسناني فيُولد الكثير من الكلام رغم أنف أستاذنا «مطر».!

اكتشفتُ متأخرًا أن الحبَّ فرض كفاية، بينما الهجر فرض عين.!

والحوادث الكثيرة تعني أن الإصابات -في كل مرة- ستكون أكثر إيلاما عن

سابقتها.!
أذكر -مرّة- أنني تعرضتُ لحادث «صديق»، الإصابة كانت بالغة الخطورة كونها سكنت القلب مباشرة واستقرت به، ومن ثم كوَّنتْ حبًا.!

الحبُّ والحكمة كلمتان تنتميان لفصيلتين مختلفتين، ولشديد الأسف تسيطر القطيعة على علاقتيهما منذ الأزل..! من الصعب أن يلتقيان دونما تناحر، ولا سبيل لتقريب وجهات النظر بينهما.!
لا أعلم سببا منطقيًا لسعادتي بهذا العداء بين الحب والحكمة في فترة ما، وبالمقابل لا أعلم أيضًا.. سببًا لملامح الخيبة التي تسكنني الآن.!

نحن في طريق العودة إلى العقل نبتسم بعمق، بعمق قد يتجاوز عمق الجرح الذي نعاود قياسه بوضع اليد اليمنى على فوَّهة القلب تمامًا.!

أُعيد كتابة أحلامي لئلا أنساها، أُرتِّبها كما ينبغي لها أن تكون، وأوصيها بمعاودة زيارتي، وألا تتركني كثيرا في العراء دون دثار أوهام يقيني برد الواقع.!
وقد لا أجد بأسًا في التفاوض مع الخيال، حلم يقظة مقابل قيظ صحو.!
يا أشهى أحلامي.. أنِّي لك أن تعلم، أنني ما مررت باسمك دون أن أرتديك.!

من الصعب التفريط في النوم خاصةً أنه يأتي بعد عصيان مدني داخلي فأنكِّس رايتي.. وأسلمني له وأنام.!

أقرب الناس وأخطرهم، هم هؤلاء الذين يأتون إليك في الحلم، وأنا أحلم كثيرا.. غير مبالية باحتياطيّ الاستراتيجي من الأحلام..!
كل أحلامي تبدأ بالطيران، أطير لمسافات طويلة، أُمعن في التحليق، وأتلذذ «بالخفة» المصاحبة للارتفاع.!
رأيتني في مكان بعيد.. بعيد جدًا ، حقيقة لا أعلم موقعه على الخارطة..

جلستُ لفترة زمنية كما الدهر في عمرها، أنظر هناك.. وأضيّع ملامحي في الأفق، أتركُ الريح تعبث بوجهي، إذ تحاول نحته ومضاهاته بوجوه الآخرين..!

شيء ما كان يحدث بين ملامحي والريح، لا أعلم كنهه وإن كنتُ أظنه نوعًا من أحاديث الضياع.!
وكان عقلي -في ذاك الحلم- معروضًا في مزادٍ علني..
وأنا جالسة أستمع لجدال الآخرين، وجلبة البيع والشراء وأتحسس رأسي.!
بينما ظلي يموت حزنًا أمامي على الأرض، ولا أستطيع مصافحته.!
أنهضُ.. فأرتفع عاليًا، يلفُّني الهواء من شمالي وجنوبي ويميني ويساري ، لكنني أخفق في الحصول على ذرة واحدة منه كي أتنفس.!

والآن .. بعد أن عبرتم معي حقل أشواكي..

يمكنكم استرداد قلوبكم من الخزانة على يسار ضلعي.
أشكركم من قلبي الذي أحاول استرداده، وإني أجدني سأنجح عما قريب.!

شراع هوى

ولما كانت الأشرعة أجنحة..
وكان البحر يتقمص دور السماء..
فقد اتخذتْ الريحُ وضعية الراوي.!

لماذا قررت حرق الشراع
ولم أك قد بدأت الإبحار.؟!

بنيت سفينة وعبأتها أزهارا
ولما انتهيت..
أضرمت بها النار..
لماذا؟!

لماذا تقول:
سأبني لقلبك الصغير مدينة
تحضنها حديقة..
وسور سنابل.. جنود حراسة
وعش حمام لزام الغرام
ولما اقتربتُ
قصفت المدينة
بقطع الوصال؟!

لماذا تكمِّمُ الشمس عني
وتزعم أنك دفءٌ وضوء؟!

obeikan.com

وتتركني أحرق نایاتي.. حزنًا
في حضرة لهفتين.. وظل.!

ولما سكبتَ الغناء بحلقي
بسطتُ القصائد بطول مداك
وما طاف نبضي بباحة قلبي
إلا ولـَهَجَ .. حروف نداك.!

لماذا تعود لذات الوعود كأني أجير
تفتِّشُ عشَّك.. بقلبي الكسير
عشُّك مليئٌ يا سيدي.. بالكثير
هنا عصفورة ثكلى..
وهنا عصفورة ذابلة..
وهناك سبعٌ بحالٍ خطير!

لماذا تغني ببهو جروحي
وكنت تصفق.. فتأتيك روحي.!

أنا منذ الأمس..
أشحن ذاكرتي إلى منتهى النسيان
وقبل النوم بغفوتين..
سال طيفك على الجدران
أيقظ دمي.. طوَّق معصمي
فطفقت أُقبِّلُ الجدران.!
أزيح المساء .. بألف لماذا وعشرة هل
لعل الصباح يسوق غماما صوب الحل.!

obeikan.com

ذاك المساء

أحلامي غير الصَّالحات صارت جبالاً ومالت عليّ
وإني سأُدفن قريبًا قبل حلول الظلام تحت الركام.!
وقد أستقيل قبل الدفن دونما ذكر السبب
وأطلقُ الرصاص على دفاتري، على كل ما كُتب
وأَتركُ قصاصة تقول: كل ما سُطِّرَ به محض كذب.

متُّ قليلاً ذاكَ المساء
متُّ بشكلٍ سيء جدًا
متُّ حزينة
متُّ مثل النهار، شيئًا فشيئًا
كنتُ أذوي حتى صار لوني شاحبًا
صدحتُ كما طائر غدر به الصياد
صرخت ، بكيت ،
ثم إلى السماء صعدت
صعدتُ بشكلٍ مريب،
ربما لأن موتي كان ناقصًا
وفي نصف المسافة ، خفت ،
تراجعت ، فسقطت
كما ورقة نفضها الشجر
لا غصن يضمني..
ولا ثمر يؤكل .. إلا حزُني

obeikan.com

متُّ قليلاً ذاكَ المساء
متُّ جائعة
متُّ قبل أن تستطيل سنابلي
قبل أن ينضجَ قمح أصابعي
قبل استدارة الخبز على موائدي
متُّ قبل أن يجفَّ الكلام في آنية فمي.!

متُّ قليلاً ذاكَ المساء
متُّ بشكلٍ يُشبه استقامة رمح
وما همَّني ،
ما همَّني إذ رأيتُك تحفر قبري
بغصنٍ غليظٍ مغطى بالشوك،
تغرسني وتدفنني واقفة
وترسم على شاهدي
متاهات لها سبعين مدخلا
ومخرج واحد.!

obeikan.com